الجذور التاريخية للعلاقات بين بلاد السودان الأوسط (تشاد) وشمال إفريقيا (الدول المغاربية)

د.محمد زين نور محمد
محاضر - قسم التاريخ - جامعة أنجمينا - تشاد

المستخلص:

تناول البحث جذور العلاقات التاريخية بين بلاد السودان الأوسط (تشاد) ودول الشمال الأفريقي منذ انتشار الإسلام في القارة الأفريقية على يد المسلمين الفاتحين الأوائل في القرن الأول الهجري الذين بذلوا جهوداً كبيرة في نشر الإسلام وترسيخ قدمه في منطقة الشمال الأفريقي والأندلس، وأفريقيا جنوب الصحراء.لقد توطدت العلاقات بين دول الشمال الأفريقي (الدول المغاربية) ومنطقة السودان الأوسط (تشاد) نتيجة لانتشار الإسلام بين شعوب المنطقتين، وقيام ممالك إسلامية على جانبي الصحراء جمعت في نظمها السياسية بين نظم محلية، وأنماط إسلامية، وخصائص مشتركة، وثقافة موحدة، وازدهرت العلاقات، وتوطدت الصلات بين دول الشمال الأفريقي وبلاد السودان الأوسط نتيجة للتداخل بينهما عن طريق التجارة إذ كانت قوافل التجار المسلمين تجتاز الصحراء الكبرى قادمة إلى السودان الأوسط محملة بالبضائع والسلع، وكانت بلاد السودان الأوسط ملتقى لطرق هذه القوافل فحدث اتصال بين هؤلاء التجار المسلمين وبين شعوب هذه المنطقة الذين التمسوا فيهم حسن التعامل والصدق في القول، وكان الحج عاملاً مهماً من عوامل ازدهار ونماء هذه العلاقات، كما تطورت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين دول الشمال الأفريقي ومنطقة السودان الأوسط وتبودلت السفارات بينهما، وازدهرت العلاقات العلمية بين الطرفين أيما ازدهار، وكان للمذهب المالكي أثر كبير في ازدهار هذه العلاقات العلمية وانتقال طلاب السودان الأوسط إلى المدارس المغربية لتلقى العلم فيها كما قدمت بعثات علمية من بلاد المغرب إلى السودان الأوسط ونتيجة لهذا التواصل فقد أصبحت ثقافة السودان الأوسط ثقافة مالكية بحتة، وانتقلت إليها أيضاً طريقة البناء والعمران والخط المغربي وانتشرت اللغة العربية في هذه المنطقة أيضاً وطريقة قراءة القرآن الكريم برواية الإمام نافع. وقد أدى كل ذلك إلى أن تعيش المنطقتين موضوع الدراسة وحدة دينية ومذهبية على مدى قرون جديدة.

Abstract :

This study deals with the roots of historical relations between the regions of central Sudan (Chad) and the North African Countries Since the spread of Islam in the African continent at the hands of the first Muslims conquerors in the first century HD. The first Muslims conquerors did a great efforts in spreading Islam and consolidating it in the North African regions, Andalusia and Sub-Saharan Africa. The relations between the North African Countries and the Central Sudan regions have been strengthened as a result of the spread of Islam between the peoples of the two regions, and the establishment of the Islamic Kingdoms on both sides of the desert.The relations were flourished, and the links were strengthened between the two regions through trade, the caravans of the Muslims merchants crossed the Sahara and reached the Central Sudan (Chad), loaded with goods and merchandise. The pilgrimage was an important factor in the prosperity and development of these relations. The political and diplomatic relations had also developed, scientific relations have flourished, the Maliki School had a great impact on the flourishing of these scientific relations, the students of the Central Sudan immigrated to Moroccan Schools to receive knowledge, the Maliki Scholars from North Africa came to the Middle Sudan for teaching and (Fatwa). As a result of these mutual relations between the two parties, the style of building and construction and the Moroccan script moved to the Central Sudan, and the Arabic language spread widely, as well as the narration of Imam Nafei in reciting the holy Quran.

مقدمـــة:

إن الجـذور التاريخيـة للعلاقـات بـين بـلاد السـودان الأوسـط وشـمال إفريقيـا؛ بـل الأحـرى بـين تشـاد والـدول المغاربيـة، قديمـة تمتـد جذورهـا إلى أقـدم العصـور، يصعـب تحديدهـا بصـورة دقيقـة، وقـد سـاعدت العوامـل الجغرافيـة، والظـروف السياسـية والاجتماعيـة والاقتصاديـة عـلى قيـام واسـتمرار هـذه العلاقات. وقـد زاد مـن قـوة هـذا الترابـط وتلـك العلاقـات ظهـور الإسـلام، ومـا جـاء بـه مـن تعاليـم سـمحاء، وقيـم عاليـة، جذبـت بنـي البـشر إلي التقـارب والتـوادد فالتَقَـت

على المحبة والخير، وإيثار الآخرين على النفس (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وهو أسمى ما يؤلف بين قلوب الناس ويوطد علاقاتهم.

إن علاقة السودان الأوسط بشمال إفريقيا، ليست علاقة حديثة، أو علاقة طارئة؛ بل هي علاقة قائمة على أساس الترابط الجغرافي في تداخلاته البشرية، وامتداداته الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والدينية والحضارية وهجراته المتنوعة. وقد اتسعت وتطورت هذه العلاقات نتيجة التواصل والتفاعل والاحتكاك المباشر بين الطرفين بعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، ثم انتشاره فيما بعد في القارة الإفريقية بشكل واسع، حيث قامت الممالك والدويلات الإسلامية في جانبي الصحراء، مثل الدولة الحفصية في تونس، والأدارسة والموحدين والمرابطين والمرينيين بالمغرب الأقصى، ومملكة الكانم الإسلامية في أرض تشاد، وسنغاي وغانا في غربها، وغيرها من الممالك التي ترتبط بعلاقات قوية فيما بينها.

أهداف البحث:

- إظهار ما بين شعبي المنطقتين من أواصر وروابط متينة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، فالتواصل البشري والتجاري والحضاري بين تشاد والدول المغاربية يرجع إلي عصور موغلة في القدم، فقد كان السفر إلي الحج والتجارة عبر الصحراء وتبادل البعثات التعليمية، تشكل همزة وصل بين الشعبين.
- يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء والدعاة في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء في ترسيخ الحضارة الإسلامية، وسيادة المذهب المالكي نتيجة التداخل والتبادل بين الجنوب والشمال، وهذا التداخل ترك آثاراً واضحة ضمن المؤثرات المغاربية الأخرى.
- عاشت منطقة جنوب الصحراء، وشمال الصحراء، وحدة دينية فريدة على مدى قرون عدة، ولكن الاستعمار، والغزو الفكري الذي تغلغل في أعماق النفوس فرقا هذه الوحدة.
- تهدف هذه الدراسة إلى الاهتمام والتذكير بعمق هذه العلاقات والصلات، وإلى تقدير تاريخنا، والجهود المبذولة في هذا الإطار، وهي دعوة – كما يقول الريسوني – للتعامل مع التراث بالوفاء لا بالجفاء، وبالاستثمار لا بالإقبار، وبالتقدير لا بالتنكير، وبالمواصلة لا بالمقاطعة، فإنها كنزٌ ثمين مع تصحيح الأخطاء[1] .

- كما أشرنا فقد نشأت في المنطقتين الممالك الإسلامية التي جمعت في نظمها السياسية بين أنماط إسلامية، وأطر محلية، ولما غلب الإسلام على أجزاء كبيرة من بلاد السودان الأوسط (تشاد) والبلاد المغاربية بصفة عامة، وبلاد المغرب الأقصى بصفة خاصة، جمعت بينهما سمات مشتركة. ولأهمية المنطقتين استراتيجياً واقتصادياً فقد وقعتا في ظروف متشابهة فريسة للهجمة الاستعمارية الأوروبية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ودخلتا في معركة نضال طويلة ضد الاستعمار، وبفضل الواقع التاريخي والانتماء الروحي المشترك بين الشعبين ونضالهم الجسور ضد الاستعمار والتبعية والتخلف والاستغلال، توثقت الصلات بين الأمتين في الماضي والحاضر.وقد عاشت إفريقية قبل الإسلام وهي منقسمة إلى قسمين: إفريقيا شمال الصحراء وتسمى بلاد البيضان.وإفريقية جنوب الصحراء وتسمى ببلاد السودان أو السودان الأوسط، ويفصل بينهما حاجز طبيعي منيع عرف بالصحراء الكبرى، وكانت تقطع المسافة بينهما في الماضي في ثلاثة شهور على الأقل. وبعد فتح مصر في عام 20 هـ في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخولها في حوزة الأمة الإسلامية، شكل ذلك بداية الإسلام في القارة الأفريقية، وقد بذل المسلمون خلال القرن الهجري الأول جهداً كبيراً في دعوة الناس لهذا الدين وإقناعهم به، ولم يكد ينته هذا القرن حتى انتشر الإسلام في العديد من بلدان الشمال الأفريقي.

وقد مر الإسلام في انتشاره بين شعوب غرب إفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى بثلاثة مراحل:

1. المرحلة الأولى من عام 20هـ443-هـ / -640 1050م.
2. المرحلة الثانية من عام443ه1164-ه/1050-1750م.
3. المرحلة الثالثة من عام 1164-1318ه/-1750 1900[2]. والحقيقة أن المرحلة الثانية والثالثة كانت عبارة عن تعزيز الإسلام في المنطقة، وليس انتشاراً له، لأن الإسلام انتشر في المرحلة الأولى في العديد من هذه البلدان بعد أن فتحت مصر على يد المسلمين ومنها انطلقوا في اتجاهين رئيسيين:.

أ. الاتجاه الجنوبي، إلى بلاد النوبة وسودان وادي النيل.

ب. اتجاه غربي، إلى سواحل برقة وطرابلس[3]، ومن طرابلس أخذ ينتشر جنوباً إلي السودان الغربي، وجنوب الصحراء الكبرى، وقد خضعت قبائل البربر للإسلام ودخلت في دين الله أفواجاً وانضمت لجيوش المسلمين، وساهمت في نشر الإسلام في غرب إفريقيا؛ بل تعدت أفريقيا لأوروبا[4].

اتجاه جنوب الصحراء أو السودان الأوسط:

اصطلح المؤرخون على تسمية المنطقة الواقعة حول بحيرة تشاد بالسودان الأوسط، وهو جزء من إقليم غربي أفريقية، وهو الإقليم الممتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى بحيرة تشاد شرقاً، وهي جزء من بلاد السودان كذلك تعرف هذه المنطقة باسم السودان الغربي والأوسط، وهي جزء من بلاد السودان التي عرفها كتاب العرب ورحالتهم، وهي البلاد التي يحدها المحيط الأطلسي غرباً وحدود بلاد الحبشة الغربية من الشرق[5].

وتنقسم هذه الأقاليم جغرافياً إلى ثلاثة أقسام وهي:

- السودان الشرقي: ويشمل جمهورية السودان الحالية.
- السودان الأوسط ويشمل جمهورية تشاد ونيجيريا والنيجر الحالية.
- السودان الغربي: ويشمل غانا وغينيا ومالي والسنغال وبوركينا فاسو الحالية.

وكانت منطقة السودان الأوسط (كانم – تشاد) ملتقى طرق أفريقيا الاستوائية التي امتزجت فيها الشعوب من مختلف الأجناس، ووفدت إليها شعوب من الشمال والشرق ومن الجنوب الغربي والجنوب الشرقي، ولهذه المنطقة صلات قديمة بالعالم العربي قدم التاريخ يشهد على ذلك الأعداد الكبيرة من السود الذين حفل بهم الشرق الأوسط. وقد نشأت في السودان الأوسط حضارات ودول قبل وصول الإسلام حفظ لنا التاريخ بعضاً منها (كانم، مالي، غانا) وكانت جنوب الصحراء متنفساً لكثير من الهجرات التي صحبت معها حضارات وثقافات الأمم المهاجرة، ومن بين هؤلاء جاء المسلمون بإسلامهم وثقافتهم وعاداتهم، كما أن المسلمين قدّموا لأهالي المنطقة نصيباً من مزايا هذه الحضارة مع الدين الإسلامي[6]. وقد دخل الإسلام منطقة السودان الأوسط منذ عهد مبكر من بدء الدعوة الإسلامية، وذلك في القرن الأول الهجري، وذلك بسبب موقعها كمركز مهم لالتقاء طرق القوافل المارة عبر أفريقيا مما جعلها مركز نشاط وحياة، فضلاً عن أن منطقة بحيرة تشاد منطقة خصبة اجتذبت إليها كثيراً من العناصر القوية، يضاف إلى ذلك، أن طبيعة المنطقة من حيث خلوِّها من العوائق الطبيعية كالصحراء، أو الغابات، أو المرتفعات أدَّت إلى تيسير النُّقلة منها وإليها، وساعدت على استقرار كثير من المجموعات، وإلى اشتغالها بالزراعة، بجانب المجموعات التي استمرت في ممارسة الرعي.[7]. وكان الإسلام مقبلاً من إقليم فزان الذي فتحه عقبة بن نافع الفهري سنة 46هـ/ 666م، فتح عقبة هذه البلاد وثبَّت أقدام الإسلام فيها ثم انحدر جنوباً، فأدخل في رحاب الإسلام (إقليم كوار) وهو إقليم يتكون من سلسلة من الواحات

الصغيرة تمتد من الشمال إلى الجنوب حتى تصل إلى إقليم كانم (تشاد)، ثم تعزز انتشار الإسلام في السودان الأوسط (كانم) تشاد، سنة 183هـ/ 800[8]م، ثم تلي ذلك اعتناق السلاطين للإسلام، وأول مَن اعتنق الإسلام من سلاطين كانم، السلطان (أومي جلمي) (1086-1097م)، وإليه يعود الفضل في إقامة الدولة على أسس متينة من القيم الأخلاقية، والقوانين المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكان أول مَن جعل للدولة قوانين تحدد سلطة الملك وتنظم العلاقة بين الحكام والرعية، وقام بفصل السلطات التشريعية عن التنفيذية، فأولى العلماء حق شغل المناصب التعليمية والقضائية، وجعل منهم مستشارين وكتبة ومؤدبين لأبناء الحكام[9]، ثم تلاه في الحكم ابنه السلطان (دونامة الأول) الذي حكم في الفترة مابين عامي (492-542هـ/ 1098-1151م)، وهو ثاني سلطان مسلم في دولة كانم، وقد واصل مسيرة والده في نشر الإسلام وتعميق ثقافته بين الرعية، وتوسيع رقعته في داخل القارة الإفريقية، وازداد عدد الداخلين في الإسلام في عهده؛ بل استطاع توسيع الإمبراطورية غرباً وجنوباً وشمالاً، فوصلت حدودها إلى فزان شمالاً، وإلي ديكوا جنوباً في إقليم البرنو، وقد اشتهر هذا السلطان بتقواه وتمسكه بالدين وأدَّى فريضة الحج أكثر من مرَّة [10].

فبالإسلام ونظمه الراقية توفر لسلاطين كانم أسباب القوة والسيادة والمجد على من حولهم من الأقطار والقبائل، إذ توسعت حدود دولتهم واكتسبوا أهمية عظيمة، ومكانة مرموقة بين الأمم الإفريقية، وصارت دولتهم حامية الإسلام في منطقة غرب ووسط إفريقية في القرون الوسطى، وصار سلاطينها في مرتبة السلاطين العظماء الأربعة وهم: سلطان الدولة العثمانية، وسلطان غانا، وسلطان مالي، وسلطان كانم[11].

لقد عمرت دولة كانم – برنو لأكثر من تسعة قرون تحمل رسالة الإسلام والدعوة الإسلامية في السودان الأوسط، وتعرضت خلال مسيرتها الطويلة لهزات عنيفة من أعدائها في الداخل والخارج إلى أن اعتراها الضعف بسبب التنازع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، كأيِّ أسرة حكمت فترة طويلة.

وهكذا امتدت دولة كانم (تشاد) وأصبحت تضم رقعة شاسعة من الأراضي حتى أصبحت أكبر دولة قامت في السودان الأوسط وضمت إليها العديد من الأقاليم الإفريقية.

الآثار الثقافية بين الشمال الأفريقي والسودان الأوسط:

لقد تأثَّرت شعوب أفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الأوسط (كانم-تشاد) بالمذهب المالكي أيَّما تأثُّر، وأصبح للمذهب المالكي طابعاً مميزاً للحياة

الأفريقية في جنوب الصحراء في كافة الممالك والسلطنات والإمارات الأفريقية التي ظهرت في هذه المنطقة، حيث كانوا – شعوباً وحكاماً – متمسكين بالمذهب المالكي أيَّما تمسك ومتشددين فيه غاية التشدد – كما هو الحال في شمال أفريقية – حتى وصفهم بعض المؤرخين بأنهم يابسون في الدين[12].

إن هذا الطابع الديني المميز المطبوع بمذهب الإمام مالك في أفريقيا جنوب الصحراء عموماً، وأهل (كانم – تشاد) خصوصاً كان سمة مشتركة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الأوسط، وكانت الحركة العلمية في مملكة كانم ذات طابع مالكي، حيث يشير القلقشندى إلى ذلك بقوله: (إن العدل قائمٌ بين أهل كانم، وأنهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك، ذوو اقتصار في اللباس، يابسون في الدين[13]. وقد بلغ أهل كانم درجة كبيرة من الاهتمام بالمذهب المالكي، فأنشأوا مدرسة خاصة لتدريس المذهب في فسطاط مصر، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق، كما استخدمت هذه المدرسة نُزُلاً لجميع الوافدين من الحجاج وطلاب العلم الذين كانوا يسافرون عن طريق مصر. يقول القلقشندى: (إن أهل كانم بنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم[14]. وقد بُنيت هذه المدرسة في أواخر العصر الأيوبي في زمن الماي (دونمة دبا ليمي) (ت 1259م). وكانم من طوائف التكرور، ولما وصلوا إلى مصر في سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالاً، وبناها به، ودرس بها فعرفت به، وصار لها في بلاد التكرور سمعة طيبة، وكانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال[15]. وكان ذلك في الفترة ما بين عامي (643-649هـ/1245-1251م) في حكم الصالح نجم الدين أيوب (1240-1249م)[16].

كانت التأثيرات المالكية واضحة وبدرجة كبيرة في مملكة كانم نظراً لمجهودات العالم المالكي الفقيه محمد بن ماني، الذي أسلم على يديه سلطان كانم (أومي جلمي) وانتشر المذهب في كانم بفضل جهوده وجهود تلاميذه.

أبرز علماء كانم وتراثهم الثقافي:

حفلت بلاد السودان الأوسط وأفريقيا جنوب الصحراء بآلاف العلماء والفقهاء من أعلام المالكية الذين كان لهم دور بارز في الحياة الثقافية والإجتماعية والسياسية في هذه المنطقة.

تتبع البحث نماذج من النتاج العلمي لبعض علماء كانم الذين اجتهدوا في طلب العلم وتحصيل علوم الإسلام، حتى صار منهم العلماء الأجلاء، والفقهاء الأتقياء، وحملوا رسالة الإسلام وتكفلوا بنشره بين الأمم الإفريقية ونبغوا في كثير من العلوم والمعارف[17].

كما كتب علماء كانم مؤلفاتهم العلمية باللغة العربية، وظلوا يكتبون بها إلى أن داهمهم الاستعمار الفرنسي وحاول القضاء على هذه اللغة، وحضارتها وتراثها المجيد، وإبعاد أبناء المسلمين عن دينهم وقيمهم الإسلامية، بعد أن استولى على مقاليد الأمور، وزمام البلاد بيده، فعمد إلى تدمير تراث علمائها، وما بقي منه إلاّ القليل[18]. ولعل من أبرزهم:

- الشيخ أحمد بابا التمبكتي المتوفى عام (1607م) وهو من أسرة أقيت التي اشتغل أفرادها بالعلم والتقوى، ومنحدرة من أصول بربرية التي استوطنت بلاد كانم بعيد الفتح الإسلامي للشمال ألأفريقي، قدمت إلى البلاد في ركاب الداعين إلى الإسلام، فصارت لهم مكانة عظيمة لدى سلاطين دولة كانم[19]. ولد أحمد بابا في أسرة كانمية، وتلقى علومه الأولية على أرض كانم، ثم ارتحل إلى المدن الثقافية في غرب إفريقية فدرس في مدينة تمبكتو، وتتلمذ على شيوخها حتى نبغ في كثير من العلوم، وذاع صيته في بلاد المغرب والسودان الأوسط، ولم تقل مكانة الشيخ أحمد بابا عن نظرائه في بلاد المغرب أو الحجاز أو مصر، وربما تفوق على كثير من أقرانه. ومن مؤلفاته:

1. كتاب: الذيل.
2. كتاب: تاريخ مملكة سنغي.
3. كتاب: تاريخ البرنو.
4. كتاب: تاريخ مملكة كانم وسلاطينها.
5. كتاب: نيل الابتهاج بتطريز الديباج في تراجم علماء المالكية ووضع مؤلفاً آخر سماه (كفاية المحتاج في معرفة من ليس في الديباج)[20] إضافة إلى العديد من المؤلفات والمصنفات الأخرى.

الشيخ محمود كعت:

ومن العلماء البارزين الذين تركوا آثاراً باقية في مجال الثقافة الإسلامية في بلاد كانم وسائر غرب أفريقيا القاضي محمود كعت ت(1529م)، ومن أهم مؤلفاته التي وصلت إلينا: كتاب: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، ويتضمن وصفاً دقيقاً لأحوال سلطنة كانم على أيامه من الناحية الحربية والعسكرية[21].

بالإضافة إلى أحمد بن فرتوا: مؤرخ البلاط في كانم في زمن السلطان إدريس ألوما (1570-1603م). توفي هذا العالم عام (1583م) وقد اهتم كثيراً بالكتابة عن الجانب الحربي لحكام الدولة(22)، وسجل بالدقة الغزوات الحربية لأعظم سلاطين الدولة. ومن هؤلاء العلماء النابغين ((ابوبكر الباركوم))

الذي خلف العديد من الكتب والمؤلفات الإسلامية منها كتاب: الدرر اللوامع ومنار الجوامع، وكان لا يخشى في الله لومة لائم فكثر حساده وتقلب عليه الحكام ولقي الكثير من الأذى في سبيل الحق[23] ويقول عنه محمد بيلو: انه كان نسيج وحده، عالماً بالمنقول، صالحاً تقياً بارعاً، والواقع أنه وصل درجة عالية في مجال العلم والمعرفة. وقد أكد ((محمد بيلو)) تمسك الكانميين بالشريعة وحفظهم للقرآن، وظهور آثار الإسلام وانتشاره في هذا البلد بقوله: ((إن أهل كانم متمسكون بالقرآن وشريعة الإسلام، محافظون عليه، والإسلام منتشر في طول بلادهم وعرضها حتى عم جميع الطبقات من الحكام والوزراء والرعايا، والواقع لا يوجد في بلادنا - أي بلاد الهوسا – حفاظ للقرآن ومتعلمون بقدر ما يوجد في بلاد كانم[24]. وقد تنقل (الباركوم) بين مدن غرب إفريقيا الثقافية في طلب العلم، وتتلمذ على يد الشيخ البكري، وأفاد منه كثيراً ثم عاد إلى بلاده عالماً يمارس مهمة التدريس والتوجيه وقد ترك للمكتبة العديد من المؤلفات منها:

كتاب الدرر اللوامع ومنار الجوامع ونظمه على الحكم، ونظمه على السنوسية الكبرى، وله عدة قصائد في نصح الأمراء والحكام، والعتاب، وعندما سمع سلطان كانم بشهرته والتفاف الناس حوله استقدمه إلى قصره وأسكنه بجواره[25].

ومنهم الشيخ محمد البكري:

من أبرز علماء كانم الشيخ محمد البكري، الذي يعد من العلماء المشهورين على نطاق غرب أفريقية، فقد قال عنه الإمام محمد بيلو في كتابه: ((ما نصه: من علماء هذا البلد ((كانم)) الإمام العالم العلامة المتفنن الفهَامة، شيخ الشيوخ، ذو الفهم والرسوخ، أخذ العربية والبلاغة في مدينة (جاندوت) وصدر منها عالماً متفنناً))[26]. وكانت جاندوت من المدن الهامة ذات الشهرة العريضة، وبها مدارس كبرى يتولى التعليم فيها العلماء الكبار، ثم ارتحل إليها كثير من طلاب وعلماء غرب إفريقية –كانت تتبع لإقليم البرنو التابع لكانم - وبها تعلم الشيخ البكري، ولما نال بغيته من العلم عاد إلى بلاده، وتصدر العمل بالتعليم في بلاد كانم، ولكنه بعد فترة رغب في الاستزادة من مشاهير العلماء، فرحل وتتلمذ على الشيخ النجيب التكداوي وأفاد منه، ثم عاد إلى موطنه وظل يمارس مهنة التدريس والإرشاد ومحاربة البدع والجهل إلى أن لقيَ ربه عام 905هـ[27]. وقد خلف العديد من التلاميذ الذين حملوا الرسالة منهم الشيخ النجيب محمد سليمان، والشيخ الطاهر بن إبراهيم، والشيخ ابن آجروم، والشيخ عبد الله مسك البكاوي وغيرهم[28].

وإلى جانب ذلك انتشرت اللغة العربية وهي لغة القرآن، والعبادة والعلوم الإسلامية، وصارت اللغة العربية، اللغة الرسمية لحكومات كانم – برنو، وبها كانت تصدر المراسيم وجميع المكاتبات، سواء في الشئون الداخلية، أم في العلاقات الخارجية، وربما كانت شهرة كانم – برنو في التاريخ، ليست فقط راجعة إلى عظمتها وطول عمرها، وطول العمر والبقاء للدول دليل العظمة والقوة، وإنما كذلك لكثرة ما خلفت هذه الدولة من تراث ووثائق ومؤلفات وكتابات عربية[29]، رغم ما فُقد منها، إبَان الاستعمار وحروب الدولة المختلفة في مراحلها المتعددة.

صفوة القول بأن منطقة السودان الأوسط (كانم) قد أنجبت عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء المالكية الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة. وأن أغلب المسلمين في أفريقيا السوداء عامة يسيرون وفق مذهب الإمام مالك رحمه الله.

هذه النماذج تمثل قلة قليلة من مئات العلماء الذين خلد لنا التاريخ ذكرهم، ووهبوا أنفسهم لنشر الإسلام، وغيرهم كُثر في دولة كانم الإسلامية.

اتجاه الشمال الإفريقي أو الدول المغاربة:

لم تكن عملية فتح بلاد المغرب يسيرة حيث تعددت الحملات العسكرية وتخللتها عدة صعوبات أفضت في النهاية إلى انتشار الإسلام في كامل شمال إفريقيا والأندلس.

فقد اتجهت حملة عسكرية من مصر إلى إفريقية سنة 27هـ/647م، وتقدمت إلى أن تم تأسيس مدينة القيروان لتصبح عاصمة لولاية المسلمين، ومنها انطلقت لفتح بلاد المغرب الأقصى وصولاً إلى مدينة طنجة، وقد استغرقت هذه الجهود ما يقرب من تسعين سنة[30]. وتشهد الحضارة الإسلامية لبلاد المغرب شدة اندماج العنصر الأصلي البربري في المجتمع الإسلامي الجديد حيث أسهموا في كافة الجوانب الثقافية والعلمية والعمرانية للبلاد وقاموا بدور فعال وبنّاء.

لقد بدأ الاتصال بين السودان الأوسط (كانم – تشاد) وبين الدول المغاربية أو شمال أفريقيا منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها النفوذ الإسلامي بلاد المغرب – كما أشير إلى ذلك – فالمعروف أن عقبة بن نافع الفهري قد أوغل بقواته حتى ساحل المحيط الأطلسي. وكان إسلام البربر عاملاً حاسماً في انتشار الإسلام واللغة العربية في شمال إفريقيا، ويهمنا من شعوب البربر على وجه الخصوص أولئك البربر الذين كانت تمتد مضاربهم جنوب المغرب الأقصى... ومن غريب الصدف أن تدهم غارات بني هلال بلاد المغرب في الوقت الذي تم فيه إسلام هذه القبائل؛ لأن المغيرين سيدفعون بطوناً كثيرة

من البربر إلى الفرار نحو الجنوب، فهاجر بعضها إلى بلاد كانم [31].

إن موضوع الدراسة هنا الأقطار المغاربية (شمال إفريقيا والأندلس) التي وفد منها الإسلام إلى السودان الأوسط وتعزز من خلالها سيادة المذهب المالكي. والمقصود بالمغرب هو ما حدده (أبو إسحاق الكرخي المتوفى: 346هـ) بقوله: (... وأما المغرب: فهو نصفان يمتدان على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)؛ نصفٌ من شرقيّه ونصفٌ من غربيّه، فأما الشرقيّ فهو برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة، وما في أضعاف هذه الأقاليم. وأما الغربي فهو الأندلس...)[32].

إن بلاد المغرب هي المصدر الأول الذي دخل منه الإسلام إلى بلاد كانم، وكان لأهله الدور الأعظم في نشر الإسلام في تلك الديار حتى اعتنقه السلاطين واتخذوه ديناً للدولة وتبعهم الرعية فدخلوا في دين الله أفواجاً، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وقد خرجت قوافل التجار المسلمين من بلاد المغرب متجهة نحو أفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الأوسط (كانم - تشاد) محملة بالبضائع والسلع الثمينة التي يحتاجها أهل تلك المناطق، ومع هذه القوافل خرج الدعاة والفقهاء والعلماء ليعززوا الدعوة الإسلامية، وحدث تبادل تجاري كبير بين شعوب الشمال الإفريقي وبين شعوب السودان الأوسط؛ إذ كانت هذه القوافل تعود إلى بلاد المغرب محملة بالسلع التي يحتاجون إليها، ونتج عن هذه المعاملات التجارية بين الطرفين صلات قوية، وتأثرت الشعوب جنوب الصحراء بهؤلاء التجار من المسلمين فزاد اقتناعهم بالإسلام نتيجة لما لمسوه فيهم من الصدق والأمانة والنزاهة والنظافة وحسن المعاملة[34].

يذكر المستشرق الإنجليزي بوفل: أخبار تلك القوافل العابرة بين المغرب وبلاد إفريقية جنوب الصحراء فيقول: إن الصحراء وما يتخللها من طرق ودروب ومفاوز كانت عاملاً هاماً من عوامل الربط بين شمال القارة وغربها، وبين بلاد كانم والمغرب الأقصى، وأكد أن الارتباط بين إفريقية شمال الصحراء وإفريقية جنوب الصحراء كان قائماً ومزدهراً منذ العصور الوسطى[35]. عبر ثلاث طرق رئيسية سالكة هي:

1. طريق غربي من مراكش إلى منحنى النيجر والمناطق الواقعة غرباً.
2. طريق أوسط من تونس إلى المنطقة الواقعة بين النيجر وبحيرة تشاد.
3. طريق شرقي من طرابلس إلى المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد.
4. وتشمل هذه القوافل مدن مثل: فاس ومراكش وتلمسان والقيروان، تحمل هذه القوافل إلى بلاد كانم منتجات المغرب من المنسوجات

القطنية والحريرية، وفي ركابها يأتي العلماء والدعاة – كما سبق – يبثون علوم الدين، وحين تبدأ رحلة العودة يبعث معها سلاطين كانم الطلاب إلى المدن الإسلامية للتدرب على الكتابة وتنظيم السجلات ودواوين الدولة والتدريب على أساليب الكتابة الإسلامية لدى بلاد المغرب، وكذلك التدريب على أفضل سبل تنظيم وقيادة الجيوش وعلى نظام القضاء الإسلامي وغيرها[36]. ولعل متانة العلاقات بين الشعبين تمثل خير تمثيل في الدولة الحفصية فقد تمتعت الدولة الحفصية خلال القرن الخامس عشر الميلادي بتقدير واحترام كبيرين في العالم الإسلامي، وقد امتدت رقعتها الترابية لتحتضن في فترات معينة، المغرب الأوسط وطرابلس ومنطقة الزاب وغدامس؛ بل إن التأثير الحفصي كان قويّاً في جنوب الصحراء الكبرى، وذلك بفضل قوة العلاقات القائمة بين سلاطين بني حفص وسلاطين كانم – برنو، وقد عززت تلك العلاقات مكانة سلاطين كانم – برنو – في كل الصحراء، وهذا ما يترجم تاريخياً على وجود ترابط قائم بين الشمال الإفريقي وبين شعوب جنوب الصحراء – السودان الأوسط – ويذكر المؤرخون: أنه ابتداءً من القرن الرابع عشر الميلادي، دخل بلاد السودان الأوسط (كانم- تشاد) عنصر مغربي من تونس يتمثل في شعب التنجور، وأن أخوين هما (علي وأحمد) من أهل تونس قد استقرا بتشاد[37].

يذكر ابن خلدون، أن سلاطين كانم – برنو، قد توثقت علاقاتهم بالحفصيين، وتبادل الطرفان الهدايا، إذ يقول: (ويليهم الكانم وهم خلق عظيم والإسلام غالب عليهم ومدينتهم «جيمي» ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان؛ وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية مذ أولها)[38]. وهذا ما يؤكد سعة أراضي دولة كانم الإسلامية؛ حيث امتدت إلى وادي النيل شرقاً والحوض الأعلى للنيجر غرباً، وفزان شمالاً. يقول (القلقشندي) عن الكانم: (وهم مسلمون والغالب على ألوانهم السواد، وبلادهم بين إفريقية وبرقة ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط.. وقاعدتها مدينة «جيمي» ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر بلدة «ذالا» وآخرها طولاً بلدة يقال لها «كاكا» وبينهما نحو ثلاثة أشهر..)[39]. وقد ازدادت العلاقات بين شمال إفريقيا والسودان الأوسط «كانم» مع ازدياد وانتشار الإسلام في البلاد، وكان بنو حفص بتونس على علاقة ودية مع ملوك كانم، ومن آثار هذه العلاقات الودية بين البلدين؛ تبادل الرسائل بين الدولتين، والهدايا التي بعث بها سلطان كانم (الماي

دونمة دباليمي عام 657هـ/ 1257م) إلى المنتصر الحفصي أبي عبد الله محمد سلطان الدولة الحفصية، وكان من ضمن الهدايا التي حملها رسول سلطان كانم، زرافة تدعى (شيقا) وقد أثارت الحيرة والعجب بين سكان تونس، وتزاحموا لرؤية هذا الحيوان عجيب الشكل، ثم تلتها سفارة الماي عبد الله بن كاداي سنة 1327م[40].

كما استفاد الكانميون من الحفصيين في تلقيهم مساعدات عسكرية في حروبهم الداخلية؛ ازدهرت العلاقات التجارية بين كانم وشمال إفريقية، وكثر الطلب على الخيول العربية من شمال إفريقية [41]. وقد تمكن الملك إدريس بفضل هذه الأسلحة أن يكسب جيشه تفوقاً ملحوظاً مكنه من القضاء على نزاعات القبائل والسيطرة على كامل الجنوب الصحراوي وتنشيط حركة الاتصال التجاري والثقافي بين الجنوب والشمال.

العلاقات الدبلوماسية بين الدول المغاربية وكانم:

لقد تجذرت العلاقات خلال القرن الثالث عشر إلى السادس عشر الميلادي؛ حيث عرفت البعثات دفعاً جديداً بين شعوب جنوب الصحراء والولاة العثمانيين الذين تمركزوا في كل من طرابلس وتونس والجزائر، وبهذا اكتسب الشمال الأفريقي أهمية جديدة عن طريقهم، تمثلت في مواكبة أحداث البحر الأبيض المتوسط وتنشيط قنوات الاتصال عن طريق التجارة والحج والتعليم والزواج والهجرات المختلفة وزيارات لكلا الجانبين. وظل تبادل السفارات بين بلاطي كانم وتونس مستمرة بشكل كبير، منها سفارة الماي كداي السالفة الذكر، وكذلك تبادلت السفارات وعلاقات الود مع طرابلس، فتوجه إليها أكثر من سفارة ،منها سفارة عام (1502م) بعث بها الماي إدريس بن علي (ت 1526م) ومنها سفارة الماي إدريس ألوما (ت 1603م) [42].

كل هذا يؤكد على عمق الصلات على جميع المستويات، ويكفينا دلالة على عمق هذه الصلات تتبع حركة القوافل المغربية التي كانت تضم سنوياً أكثر من عشرة آلاف شخص، مفضلة الطريق الصحراوي للتحول إلى البقاع المقدسة، وكذلك خروج ركب كبير يتألف من خمسمائة جمل من بنغازي ومصراته إلى جهة السودان الأوسط في اتجاه كانم، هذا فضلاً عن وصول ثلاثة قوافل سنوياً من قلب الصحراء إلى تونس، وهو ما أطلق عليها بالقوافل الغدامسية [43]، وهذه كلها تزيد من إحكام ربط الصلات وتعميقها وتزاوج عناصرها المختلفة لتكون سبباً وراء هذه التأثيرات المتعددة.

إن تعدد الزيارات بين شعوب جنوب الصحراء والشمال الأفريقي، قد عرف دفعاً جديداً خلال القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، إذ أنَّ تشاد

استوعبت العديد من القبائل المهاجرة من الشمال نحو جنوب الصحراء، كما أعطت دفعاً آخر عن طريق السنوسيين عند ما أنشأوا زاوية الجغبوب والتي أصبحت من أهم المراكز العلمية على الساحة العربية والإفريقية، وكان الهدف الأساسي منها خلق شبكة من الاتصالات مع الشعوب الإفريقية ودعوتها إلى الإسلام، ونشر تعاليمه السمحة، وقد بثوا تعاليم الإسلام عن طريق عدد من المراكز مثل: زاوية قورو ووجنقة الكبيرة ووجنقة الصغيرة وبئر العلالية وعين قلك وون وأبشة وكانو وزندر وغيرها[44]. وقد اعتبر السنوسيون أنفسهم جنوداً لنشر الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي.

رحلة طلاب كانم إلى المغرب الأقصى:

لم تقف الصحارى الشاسعة حائلاً دون الاتصال بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان الأوسط، وبعد سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس، ورثت المغرب الأقصى المركز القيادي في مجال العلوم الدينية؛ إذ انتقلت العاصمة الدينية إلى مدينة فاس التي غدت قبلة طلاب العلم والعلماء، وهاجر إليها الطلاب من بلاد كانم وغيرها، وكانوا يجدون فيها التشجيع والرعاية من الدولة المراكشية[45]. وكان ممن التحقوا من طلاب كانم لتلقي العلم بمراكش بالمغرب الأقصى، العالم فاتح بن عثمان التكروري (ت 795هـ/ 1393م) الذي رحل من بلاد الكانم إلى مراكش بالمغرب وتلقى على علمائها العلوم الدينية، ثم ارتحل من المغرب إلى مصر واستقر في مدينة دمياط، ولازم مسجدها، فسمي به وعرف بجامع (فاتح) وكان رحمه الله ورعاً تقياً زاهداً فاسترعى ذلك انتباه الناس[46]. وقد وجدنا عدداً مقدراً من أعلام الأدب العربي كانوا ينتمون لأروقة كانم، نبغوا في اللغة وأصبحوا يؤدون بها معان تفوق في الروعة ما ينطق به الأدباء في ذلك الوقت، وكان سفيراً لكانم في المغرب الأقصى وهو إبراهيم بن يعقوب الكانمي الذي أنشد أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي، لما دخل عليه:

أزال حجابه عنِّي وعيني ترى من المهابة في حجاب.
وقرَّبني تفضُّله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي.

نبغ هذا الشاعر في الكانم وقدم مراكش ومدح أكابر الدولة، وتوفي في حدود سنة 600هـ [47].

لقد كانت بلاد المغرب الأقصى - وما تزال - تمثل نقطة الاتصال الكبرى بين المغاربة وتشاد بحكم موقعها وبعدها الثقافي والديني والعلمي والسياسي والاجتماعي.

كما وفدت بعثة تعليمية مالكية إلى بلاد كانم ضمت مجموعة من العلماء والفقهاء، وحفظة كتاب الله، من المغرب، وقد طافت هذه البعثة ببلاد مالي وكانم وكان من أشهر أفرادها الشيخ مخلوف البلبالي، ومحمد بن أحمد التازختي[48].

ثم تلتها بعثة علماء مدينة توات بالمغرب، وكانوا يبعثون كل عام مَن يقوم بالتعليم والإرشاد في مساجد كانم، وعرفوا لدى سلاطين كانم بعلماء المرابطين، وحين انقطع ورودهم عن البلاد كالمعتاد، كتب إليهم سلطان كانم الماي «كداي» في عام (843هـ/1439م) يستفسر عن عدم مجيئهم كالعادة، ويطلب منهم مواصلة إمداده بالمعلمين.

جاء في كتاب سلطان كانم: من السلطان «كداي جمشيش» سلطان (كانم – برنو) أيده الله ونصره، الحمد لله وحده والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: ثم أفاض الكاتب في الثناء على السلطان من جديد حتى قال: أمَّا بعد: فإلى المرابطين الذين مع الشيخ «مختار» وسيدي عمر الشيخ، وإلى سائر إخوانهم، وإلى «در مقشة» المقيم حالياً بتوات: السلام عليكم جميعاً، وبعد؛ فقد عجبنا من أمركم لماذا تركتم عادة كبرائكم؟ لماذا قصرتم عن النزول وإرسال البعثات إلى بلادنا منذ عهدكم، مع كبيرنا السلطان صغير؟.

فأنتم لم تعودوا إلينا منذ ذلك الحين، لماذا هذا؟ فإنني أقسم بالله إنه لن يصيبكم أيَّ شيء من الأذى فيما لو جئتم، لا من جهتي ولا من أحد غيري، فعليكم أن تأتوا إذن كعادتكم، وكل من جاء من «توات» حاملاً معه رسالة منكم لا يسأل عن شيء من الرسوم؛ لأن البلاد بلادكم، كما كانت لأنها بلاد أسلافكم، والسلام [49].

هذه الرسالة تدل على أن العلاقات بين كانم والمرابطين قديمة وثابتة، وأن أسسها قائمة على الأسس الإسلامية السليمة، وكانت كانم تدين في ذلك العهد للمرابطين التواتيين بالكثير من الاحترام لقيامهم بنشر العلم والمعرفة في ربوع البلاد؛ وهذه الرسالة تدل دلالة واضحة على عمق الصلات بين الكانميين والبربر المرابطين[50].

لقد بلغت الثقافة الإسلامية ذروتها في كانم – برنو – خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ويعود الفضل في ذلك إلى علماء «توات» من المرابطين إلى جانب الفقهاء الوافدين من بقية أنحاء إفريقية الشمالية وهو ما يؤكد عمق الصلات المغاربية التشادية. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل تجاوزه إلى صلات دبلوماسية حيث قام الملك أبو العلا إدريس الثالث

ملك «كانم – برنو - «بإرسال سفارة من لدنه إلى العاهل المغربي 985هـ /23 يونيو 1582م، وقد خصصت المصادر المغربية المعاصرة فصولاً طويلة لمقدم سفارة برنو، وعن الاستقبال الضخم الذي خصص لها مما يبرر انشغال المنصور السعدي ورغبته من جهته في أن يظهر لملك برنو مركزه بالمغرب، إذ كان العثمانيون يتطلعون للسيطرة على هذه المنطقة.. جاء في كتاب (مناهل الصفا لأبي فارس القشتالي) وزير المنصور السعدي بعض الإفادات عن هذا الأمر: «ثم وصل في آخر عام 990هـ وأواخر 1582م رسول مملكة برنو من ملوك السودان، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من مهاداتهم... ووافى السفير أمير المؤمنين المنصور بالله بمعسكره على رأس الماء من ظاهرة فاس... ثم سلك على سبيل الترقي إلى القبة الغربية... قبل أن يؤدي الرسالة بين يدي أمير المؤمنين ويقضي فروض التهنئة ويعرب عن مقاصد مرسله في الاعتراف للإمامة الكريمة... ثم سير به إلى معسكر ولي عهد الخلافة العلية أبي عبد الله محمد الشيخ) إلى آخر الوصف الطويل العريض لهذه السفارة الكانمية [51]. وقد كان الغرض البارز من هذه الوفادة هو طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والأجناد وعدد من البنادق ومدافع النار لمجاهدة مَن يليهم بقاصية السودان... وقد تجددت هذه السفارة بين المملكتين في مراحل لاحقة... وانتهت في الأخير إلى عقد حلف بين المملكتين الإفريقيتين ضد تهديد الأجانب من جهة وضد الإلحاد من جهة أخرى[52].

فهذه الرسالة تدل دلالة واضحة على مدى قوة العلاقات الثقافية والعسكرية لبلاد كانم بالمغرب، وبمعاهدها العلمية، ومدارسها الإسلامية، وعلمائها الأجلاء وأن هذه العلاقات قديمة قدم التاريخ الإسلامي. وثابتة ثبات عقيدة الإسلام في قلوب أهل تلك الديار[53].

علماً بأنه قامت في بلاد المغرب مدارس عظيمة صارت لها مكانة علمية كبيرة واشتهرت في بلاد غرب إفريقية وعمَّ صيتها بلاد المشرق العربي، فهناك جامعة القرويين في مدينة فاس، وجامع القيروان في تونس ومدرسة يوسف بن تاشفين التي كانت قلعة من قلاع العلم ينشدها طلاب المعرفة من سائر أقطار إفريقية الغربية والوسطى، ويرجع تاريخ إنشائها إلى على بن يوسف بن تاشفين في القرن الثاني عشر الميلادي، ثم جددها أبو الحسن المريني في القرن الرابع عشر الميلادي، ومِن بعده جددها عبد الله السعدي في القرن السادس عشر الميلادي[54]. ومن هنا نرى مدى تأثير منطقة أفريقيا جنوب الصحراء بالمذهب المالكي؛ حيث غلبت التقاليد المالكية الدينية منذ القرن الخامس الهجري على هذه البلاد، فكان الفقه كله يدور حول فقه

مالك والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدم هذا الفقه وتساعد على فهم هذه الثقافة المالكية التي وضحت في القيروان، وانتقلت منها إلى المغرب الأقصى والأندلس وغرب أفريقيا فغلبت على الثقافة، وقلَّ أن نجد في السودان الأوسط والغربي مذهباً إلا مذهب مالك، وفقهاً إلاَّ فقه مالك؛ فالفقهاء مالكيون في حياتهم وتقاليدهم وإنتاجهم وتأليفهم وتدريسهم، والشعوب مالكية تتأثر بالفقهاء وتستهدي بهم، وكادت مدارس الثقافة الإسلامية في السودان الأوسط والغربي أن تكون مدراس مغربية بحتة [55]، فكأننا في فاس؛ من حيث أسلوب التدريس، نفس الحياة ونفس الوسائل حتى طريقة الكتابة نفسها تأثرت بالطابع المغربي، فالقلم المستخدم هو أيضاً على الطريقة المغربية. يحدثنا القلقشندى عن الخط المستخدم عندهم فيقول: (وكتابهم بالخط العربي على طريقة المغاربة)[56]. وتعطينا تراجم العلماء التي وردت في مصادر تاريخ هذه المنطقة صورة حية عن أساليب التدريس في معاهدهم التعليمة؛ إذ وجد نفس الأسلوب المغربي في التدريس والكتابة، حتى تكاد تكون مدارس مغربية[57]. ويمكن لكل واقف على الكتب الإفريقية سواء كانت تلك التي لا تزال محفوظة بالخزائن الإفريقية، أو التي نقلت إلى المكتبات الأوربية أن يلاحظ طابع وأثر الخط المغربي عليها... وصفوة القول: بأن علاقات كانم الثقافية بالمغرب الأقصى، كانت عظيمة ومثمرة وقديمة تجلت آثارها وانعكست على الحياة الثقافية والإجتماعية لبلاد الكانم.

المؤثرات الثقافية والعلمية المشتركة بين السودان الأوسط والشمال الإفريقي (والمغرب العربي):

اشتركت بلاد السودان الأوسط (كانم) والدول المغاربية في العديد من خصائص التدين والتمذهب؛ وبالأخص في خمس خصائص، ذكر ثلاثة منها العلامة عبد الواحد بن عاشر في مقدمة منظومته الشهيرة، حيث قال:

في عقد الأشعري وفقه مالك ❊❊❊ وفي طريقة الجنيد السالك

ويُضاف إلى هذه الخصائص الثلاث قراءة الإمام نافع وانتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فصارت الخصائص المشتركة خمسة خصائص هي:

1. مذهب الإمام مالك في الفقه.
2. قراءة الإمام نافع للقرآن الكريم.
3. مذهب الإمام الأشعري في علم الكلام.
4. طريقة الإمام الجنيد في السلوك.
5. وانتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

أولاً: مذهب الإمام مالك في الفقه:

فقد كانت بلاد المغرب قد اختارت المذهب المالكي دون غيره من المذاهب الفقهية السنية الأخرى منذ القرن الثاني الهجري وتمسكوا به أيَّما تمسك ولم يقلدوا غيره من الأئمة. وكان الإمام مالك يستند في مذهبه على تقديم كتاب الله أولاً، ثم ما صح من السنة النبوية الشريفة ثانياً، ثم الإجماع عند عدم الكتاب وتواتر السنة، وبعد ذلك عند عدم هذه الأصول القياس عليها والاستنباط منها. وقد اتصل أهل المغرب بالإمام مالك مباشرة وتتلمذوا على يده ونقلوا آراءه وعلمه وفتاواه إلى بلادهم ولعلهم وجدوه الأنسب مع بيئتهم ففضلوه على غيره من المذاهب، فغلب مذهبه عليهم[58]. ويرجع انتشار المذهب المالكي بصورة واسعة في بلاد الأفريقية والمغرب إلى بعض أعلام المالكية المغاربية من تلاميذ الإمام مالك مثل: علي بن زياد، وبن أشرس، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد الذي غلب المذهب في أيامه (59). وازداد إعجاب أهل المغرب بالمذهب المالكي نتيجة القدوة الحسنة لعلمائه.

بما أن المذهب المالكي كان هو المذهب السائد في بلاد المغرب؛ فقد كان من الطبيعي أن ينتقل إلى أفريقيا جنوب الصحراء مع المؤثرات المغاربية الأخرى – كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ويعلل ابن خلدون على اختصاص أهل المغرب بالمذهب المالكي دون غيره فيقول: (وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا القليل؛ لأن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذٍ دار العلم ومنها خرج إلى العراق – ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقة[60].

ثانياً: قراءة الإمام نافع للقرآن الكريم:

قراءة الإمام نافع هي من القراءات السبع المتواترة المجمع على صحتها وسلامتها التامة لدى كافة علماء الأمة. وكان قارئ بلاد المغرب العربي والسودان الأوسط (كانم) فهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أصله من أصبهان، لكنه ولد وعاش ومات بالمدينة، ودفن بالبقيع.

قال الإمام مالك، لما سُئل عن البسملة: سلوا عن كل علم أهله، ونافع إمام الناس في القراءة[61]. ومن أكابر تلاميذه الذين أتقنوا قراءته ورُويت عنهم وخُلِّدت بفضلهم، قارئان هما: قالون المدني، وورش المصري، وعنهما عن تلاميذهما أخذ أهل المغرب والسودان الأوسط قراءة نافع.

فأما رواية قالون عن نافع، فمعقلها ليبيا ثم البلدان المجاورة لها، كالشرق التونسي، وشمال السودان وشرق تشاد، ويُقرأ بها في بعض مناطق موريتانيا والسنغال. وأما رواية ورش عن نافع، فيُقرأ بها في الجزائر والمغرب وشمال تشاد وموريتانيا ودول غرب أفريقيا، وفي بعض مناطق السودان وغرب تونس، وبذلك فهي أكثر الروايتين انتشاراً[62]. ومن الجدير بالإشارة أن المغاربة والسودان الأوسط تلقوا قراءة الإمام نافع مقترنة بمذهب الإمام مالك، حتى صارا كأنهما مذهباً واحداً، أو كأن قراءة نافع من مستلزمات مذهب مالك، ثم استمر الأمر على ذلك منذ القرن الهجري الثاني وإلى الآن[63]. وأما سر التلازم فيرجع إلى كون مذهب مالك، هو مذهب أهل المدينة وقراءة نافع هي قراءة أهل المدينة. ثم إن قراءة نافع، كانت هي القراءة المفضلة عند الإمام مالك، كما أن كُلاً من الإمامين، مالك ونافع، هو تلميذ للأخر وشيخٌ له، فمالك أخذ القرآن والقراءة عن نافع ونافع أخذ الحديث والفقه عن مالك[64].

علماً بأن السودان الأوسط (كانم) كان خالياً من غير الروايات المذكورة بالإضافة إلى قليل من رواية أبي عمرو، ومن أيّ فقه غير الفقه المالكي إلاّ بعد السبعينيات من القرن المنصرم؛ حيث وصلت المصاحف المطبوعة والكتب المطبوعة وعاد العديد من الأساتذة من الدول الأخرى ليسهموا في الحركة العلمية في البلاد.

ثالثاً: مذهب الإمام الأشعري في علم الكلام:

المذهب الأشعري هو جزء من «علم الكلام» وهو واحد من أبرز المذاهب والمناهج الكلامية. والإمام أبو الحسن الأشعري، هو علي بن إسماعيل... ولد بالبصرة سنة 260هـ، وقيل: ولد سنة سبعين، وأما وفاته فكانت ببغداد سنة334هـ[65]. وقد تنقل بين العديد من المذاهب الكلامية، وله جهود كبيرة حول هذه المذاهب كلها. بالرغم من أن لدولة المرابطين وفقهائها المالكية نفور من علم الكلام ومحاربتهم له، ولكن هذا لم يمنع بعض العلماء والأفراد في هذه الحقبة من دراسة المذهب الأشعري واعتناقه والترويج له، وخاصة أصحاب الرحلات العلمية المشرقية، وقد كان للأمام أبي بكر الباقلاني أثر كبير في ذلك؛ لأنه – من جهة – يعد مهندس المذهب الأشعري، ومؤسسه الثاني، وهو من – جهة أخرى – مالكي في الفقه، فلذلك كان مالكية المغرب والسودان الأوسط، يقصدونه ويأخذون عنه، ويتأثرون بكتبه الكلامية والأصولية، ذات الصيغة الأشعرية[66].

رابعاً: مذهب الجنيد وطريقته:

هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه في العراق (ت 297هـ)[67] وهو تلميذ للحارث المحاسبي.

وطريقة الجنيد، تعني منهجه ومبادؤه في السلوك والتصوف، وروي عنه أنه كان يقول: علمُنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه، لا يُقتدى به[68].

وقد بلغ الإمام الجنيد مرتبة الأستاذية في التصوف، بكل أبعاده ومقاماته الإيمانية والتعبدية والخلقية، حتى لقُب بسيد الطائفة واعتمدت طريقته ومنهجه الصوفي على أربع خصال:

أولاً: تحصيله العلمي وتفقهه المتين في علوم الشريعة، قبل أن يشتهر بتصوفه.

ثانياً: تصريحه المؤكد المتكرر بأن تصوفه محدد ومقيد بالكتاب والسنة وأصول الشريعة.

ثالثاً: تصوفه تصوفُ صحو لا تصوف سكر.

رابعاً: أن تصوفه تصوف الخلق وحسن المعاملة[69].

لقد انتشرت الطرق الصوفية عل مدار الزمان وشملت معظم العالم الإسلامي وقد نشأت فرقهم وتوسعت في العراق ومصر وشمال إفريقيا، وغرب ووسط وشرق أفريقيا وشرق آسيا، وكل ذلك عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي، كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صارت لهم طريقة مميزة معروفة باسم (الصوفية). إذ كانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالاستدلال لا عن طريق التقليد، ولكنهم في طريقهم جنحوا في المسار بعد ذلك حتى تداخلت طرقهم مع بعض الفلسفات[70]. كان مقر الخلافة العباسية في بغداد، قد ضم عدداً كبيراً من هؤلاء المتصوفة نتيجة للترف الذي عاشته الدولة العباسية، وهذا يعني استقطاباً واسعاً لنخب المجتمع وطلائعه، وضم مجتمع بغداد عدداً مقدراً من العلماء والمفكرين والأدباء والسياسيين وأرباب الأموال ورجال الأعمال. فالعراق أصبح يزدحم بهؤلاء المتصوفة، وأصبح يغلي بأفكارهم ومذاهبهم وسجالاتهم ونشاطهم، كما أصبحت بغداد مرتعاً لحياة البذخ والترف والتنافس في الأموال ومباهج الدنيا[71]، وهذا الواقع الجديد يحتاج للتعامل معه بمختلف السبل والوسائل.

اكتفي بهذه الإشارات والكلمات المقتضبة؛ لأن الهدف من هذا البحث إبراز الخصائص المشتركة بين السودان الأوسط وشمال إفريقيا، وليست بيان ما للصوفية وما عليها، ولكن لدي وجهة نظر حول ما درج عليه بعض الكتاب من إطلاق قولهم: انتشار الإسلام في أفريقيا على أيدي الطرق الصوفية وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: كان فتح مصر سنة 20هـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخول

مصر في حوزة الأمة الإسلامية هي مرحلة مهمة من تاريخ الإسلام في القارة، وان هذا الفتح كان إيذاناً بامتداد سلطان الإسلام غرباً صوب الشمال الإفريقي، فتوالت الحملات على هذه البلاد حتى دخل الشمال الإفريقي كله في كنف الدولة الإسلامية، وقد استغرق هذا الفتح زهاء اثنين وثمانين عاماً وليس هناك أيَّ طريقة صوفية كانت مصاحبة لهذا الفتح.

ثانياً: من أهم الطرق الصوفية وأقدمها وأكثرها انتشاراً، الطريقة القادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني بالعراق (470-561هـ/1077-1116م)[72]، وقد انتشرت في السودان الغربي وشمال إفريقيا، ولكنها زحفت إلى السودان الأوسط (كانم) الذي دخل إليها الإسلام سنة 46هـ/666م.

وأول من نشرها في المغرب العربي هو الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، الذي اجتمع بالشيخ عبد القادر عل جبل عرفة، عام حجه؛ ولما رجع إلى المغرب نشر بها العلم والطريقة إلى أن توفي 594هـ[72]، مع العلم أنها انتشرت في السودان الغربي ثم السودان الأوسط، وكان الشيخ عثمان دان فوديو على الطريقة القادرية[73]. وكذلك الشيخ محمد الأمين الكانمي على الطريقة القادرية.

ثالثاً: وفي مطلع القرن التاسع عشر انتشرت الطريقة التيجانية، التي أسسها الشيخ أحمد التيجاني (1737-1815م[74]، وقد انتشر أتباع هذه الطريقة في العديد من بلدان غرب أفريقيا وجنوب الصحراء، واستمرت في النمو والازدهار حتى أصبحت هي السائدة ويتبين من هذا:

- أنه لا تلازم بين انتشار الإسلام والطرق الصوفية؛ لأن أقدم الطرق انتشاراً ظهرت بعد 560هـ، ما بعد انتشار الإسلام في المنطقة بزمن بعيد.
- وأن الشيخ محمد الأمين الكانمي، حينما استقبل الشيخ عمر الفوتي، استقبله استقبالاً فاتراً وبشكل عادي، وهو قادم من القاهرة، ولم يحدث انسجام بينهما، لأن الكانمي كان قادرياً بينما عمر الفوتي كان تيجانياً يحاول نشر التيجانية في الكانم ، ولهذا لم يستمر الشيخ عمر طويلا في برنو .(75) . وعلى أيَّة حال، وفي عام 1900م انتشرت الطريقة التيجانية على نطاق واسع في السودان الغربي والأوسط من السنغال إلى البرنو، وصارت الطريقة الثانية بعد القادرية في مناطق واسعة من أفريقيا[76].

كل هذا يؤكد تأخر الطرق الصوفية عن انتشار الإسلام في المنطقة، وعدم التلازم بينهما في الانتشار. ويمكن القول بأن الطرق الصوفية ساهمت في الحفاظ على قيم الإسلام وترسيخ تعاليمه والدعوة إلى مبادئه، إذ كان كل مسلم داعية للإسلام – وذلك بقوله وسلوكه.

خامساً: انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية:

من الخصائص المشتركة بين السودان الأوسط (كانم) والمغرب العربي، انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فقد عمل الدين الإسلامي على انتشار اللغة العربية؛ فحيث انتشر الإسلام واستقرت قواعده انتشرت اللغة العربية، ولعل مما ساعد على انتشار اللغة العربية على هذا النحو في السودان الأوسط والغربي والمغرب العربي، ما أجمع عليه أغلب الأئمة المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن، فكان لابد لمن لا يعرف أسراره أن يقبل على تعلم اللغة العربية، وكذلك عدم جواز كتابته بغيره، وعدم جواز القراءة بغير العربية في الصلاة، رغم أن الإمام أبا حنيفة قد أجاز في بعض الحالات الصلاة بالفارسية، إلا أن جمهور الفقهاء نهوا عن ذلك[77].

لقد انتشرت اللغة العربية وهي لغة القرآن والعبادة والعلوم الإسلامية، وصارت اللغة الرسمية لحكومات السودان الأوسط والمغرب العربي، وبها كانت تصدر المراسيم وجميع المكاتبات سواء في الشئون الداخلية أم الخارجية[78].

خاتمة:

من خلال ما سبق في الصفحات الماضية الذي تتبعنا فيه جذور العلاقات بين السودان الأوسط (كانم) وشمال أفريقيا نخلص إلى الآتي:

- عاشت منطقة السودان الأوسط والمغرب العربي وحدة دينية ومذهبية فريدة، فالثقافة الإسلامية الغالبة عليها مغربية السمات، وينتشر المذهب المالكي بين مواطني هذه المناطق، ويغلب التسامح على مجتمعاتها.
- قامت على جانبي الصحراء ممالك إسلامية جمعت في نظمها السياسية بين نظم محلية وأنماط إسلامية، وصار الدين الإسلامي هو دين الحاكم ودين الدولة، ودين التجار والفقهاء، وأصبحت اللغة العربية هي لغة التجارة والدبلوماسية ولغة العبادة، وكان الحرف العربي هو الغالب في الكتابات، وهو حرف يماثل القلم المغربي أو الصحراوي، وأن الروابط الثقافية المتبادلة بين شمال إفريقيا ووسطها وغربها، قد زادت عمقاً في فترة الدولة الحفصية. وقد رأينا كيف كان استقبال سفير دولة كانم في المغرب في عهد المنصور بالله وكيف تبودلت الهدايا بين الطرفين.

- وبفضل هذه العلاقات القوية القائمة بين الدول المغاربية وبلاد السودان الأوسط، ازدهرت التجارة وطرق الحج والتزاوج وتبادل الزيارات والسفارات والهدايا والهجرة من موضع لأخر دعماً تلك الصلات.
- من أبرز الخصائص المشتركة، سيادة المذهب المالكي الذي أصبح سمة بارزة من سمات الحياة الأفريقية سواء في الشمال أو جنوب الصحراء الكبرى، وكادت مدارس الثقافة الإسلامية أن تكون مداس مغربية بحتة وكذلك كانت القراءة السائدة هي قراءة نافع وأن التصوف الإسلامي قد ساهم كثيراً في الحفاظ على قيم الإسلام وترسيخ تعاليمه.

التوصيات:

1. على الدول المغاربية ودول جنوب الصحراء أن تسعى لرفع حجم التبادل التجاري فيما بينها وتعطي الأولوية لبعضها البعض، فقد كانت التجارة من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تجذر العلاقات بين شعوب المنطقتين.
2. على الهيئات الاقتصادية أن تضطلع بمسئولياتها على نحو ما تضطلع به الهيئات الثقافية والإجتماعية.
3. أن نعمل على تفقد الحوانب التاريخية التي جمعت المغاربة وجنوب الصحراء، لكن بصيغة جديدة تتفق والحقائق التي ظهرت أو تظهر باكتشاف الوثائق والمستندات.

المصادر والمراجع:

(1) الريسوني، د: أحمد عبد السلام، الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المغرب ط 2018م، ص 8.

(2) د. شوقي عطا الله ود، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال وغرب أفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط2012م، ص17.

(3) د. شوقي عطا الله الجمل، ود. عبد الله عبد الرزاق، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط1996م، ص12.

(4) د. شوقي عطا الله ود، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال وغرب أفريقيا، مصدر سبق ذكره ص 17.

(5) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ص 17.

(6) بوركينافاسو كانت تسمى سابقاً فولتا العليا وهي دولة في غرب أفريقيا تحيطها ستة دول هي مالي من الشمال، النيجر من الشرق، بنين من الجنوب الشرقي، توغو وغانا من الجنوب، وساحل العاج من الجنوب الغربي، تقع ضمن دول الصحراء الكبرى في أفريقيا، http://ar.m.wikip.

(7) سيرتوماس، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية ط 1970م، ص 393.

(8) طرخان، د. إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1975م، ص 18.

(9) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1991م، ص 555.

(10) الدكو، د. فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1998م، ص 96 .

(11) المرجع السابق، ص 99.

(12) كعت، محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور، ص 38.

(13) إمام، د. محمد أبو محمد، سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية، المؤتمر الدولي، الإسلام في أفريقيا، الكتاب الخامس، ص 104 .

(14) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية ، ج5، ص281.

(15) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(16) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة التعاون، بيروت، لبنان، ج2، ص365.

(17) 17.طرخان، إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية ، ص73.

(18) الدكو، د. فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص 183.

(19) نفس المرجع، ونفس الصفحة.

(20) نفس المرجع، ص 191.

(21) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(22) نفس المرجع، ص189.

(23) نفس المرجع، ص 190.

(24) الماحي، د. عبد الرحمن عمر، مساهمة القوافل في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية، أعمال الندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية، كلية الدعوة، 75.

(25) بيلو، محمد بيلو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، منشورات جامعة محمد الخامس، المغرب، الرباط، ط 1996م، ص 61.

(26) المرجع السابق ، ص36.

(27) نفس المرجع ، ص34.

(28) الدكو، د. فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص 184.

(29) محمد بيلو، إنفاق الميسور، ص 41 .

(30) طرخان د. إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية،ص 77.

(31) محمود، د. حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 192.

(32) المسالك والممالك، منشورات، دار صادر، بيروت، ص 36.

(33) الدكو، د. فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص 251.

(34) إمام، د. محمد أبو، سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء. الكتاب الخامس، ص 91.

(35) الدكو، د. فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص 251.

(36) نفس المرجع، ص252.

(37) حسن، د. حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء، منشورات معهد الدراسات العربية، القاهرة، ط 1957م، ص112.

(38) 38.ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر، ج6/ مؤسسة العلمي، بيروت، لبنان، ص 199.

(39) القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص 271.

(40) طرخان؛ د. إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو ألإسلامية، ص 174.

(41) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(42) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(43) التميمي، د. الجليل، الروابط الثقافية المتبادلة بين شمال إفريقيا ووسط وغرب أفريقيا خلال العصر الحديث، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، ص 64.

(44) الدجاني، أحمد صدقي، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط 1967م، ص 285.

(45) زكريا قاسم، الأصول التاريخية، نقلاً عن دكتور كلود، الثقافة الإسلامية في كانم، ص 252.

(46) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ص 226.

(47) الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك، الوافي بالوفيات، ج6، ط 1982م، ص 170.

(48) المرجع نفسه والصفحة.

(49) بيلو، محمد، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص 31.

(50) صالح، الشيخ إبراهيم، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم – برنو، مكتبة القاضي شريف، ط 1976، ص 250.

(51) عبد الهادي التازي، المغرب في خدمة التقارب الأفريقي العربي، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، ص 107.

(52) المرجع نفسه والصفحة.

(53) الثقافة الإسلامية في تشاد، ص 253.

(54) المرجع نفسه، ص 254 .

(55) إمام، د. محمد أبو محمد، سيادة المذهب المالكي، أعمال الندوة الإسلام في أفريقيا، ص 107.

(56) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج5، ص 298.

(57) الدكو، د. فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص 255.

(58) إمام، د. محمد أبو محمد، سيادة المذهب المالكي في أفريقيا جنوب الصحراء، الكتاب الخامس، ص 102.

(59) المرجع نفسه، ص 103.

(60) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ط، القاهرة، 1966م، ص 363.

(61) الريسوني، د. أحمد السلام، الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب، ص 22.

(62) المرجع السابق ص 25.

(63) نفس المرجع ص 27.

(64) نفس المرجع ، ص 28.

(65) سير أعلام النبلاء 15/ 85.

(66) الريسوني، د. احمد الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب، ص 92.

(67) ابن خلكان، وفيات الأعيان (1/357)، انظر، موسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 342.

(68) الريسوني، الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب، ص 108.

(69) المرجع السابق، ص 110.

(70) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص341.

(71) الريسوني، د. أحمد عبد السلام، الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب، ص 71.

(72) طرخان، د. إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 74.

(73) الألوري، أدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا، ص43.

(74) طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية 75.

(75) المرجع السابق، ص 5.

(76) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(77) فرج، د. حندوق إبراهيم، الإسلام في بلاد التوكولور في غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي، الإسلام في أفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006م، الكتاب الخامس، ص 282.

(78) المرجع نفسه، ص 296.